المجلد الثالث – العدد الخامس
أكتوبر 2026م
ISSN:3079 - 2444
مجلة أوتاد المعرفة : مجلة علمية إلكترونية محكمة. تصدر عن الأكاديمية الليبية للدراسات العليا – طبرق

الخطاب التداولي في الشعر الشعبي البرقاوي: تجليّات التوحيد (صالح بوعياد الشهيبي – أنموذجًا)

خالد حمد إبراهيم
باحث دكتوراة
قسم اللغة العربيّة، كليّة الآداب، جامعة عمر المختار

سليمان خالد صالح جادالله
محاضر مساعد، قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب والعلوم الأبيار، جامعة بنغازي
Sulayman.jadullah@uob.edu.ly

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف "تجليات التوحيد" في الشعر الشعبي البرقاوي، وتحديداً في مدونة الشاعر صالح بوعياد الشهيبي، بوصفها "وسيطاً تداولياً" وفعلاً اجتماعياً موجهاً للسلوك، لا مجرد نصوص جمالية للترفيه. تعتمد الدراسة على المنهج التداولي (البراجماتي)، متكئة على "نظرية أفعال الكلام" لجون أوستين، ومفهوم "سياق الحال"، بالإضافة إلى تحليل "التناص الديني" والصورة البيانية. أظهرت النتائج أن الشاعر استثمر التناص مع القرآن والسنة لاستعارة السلطة التشريعية، ووظف الأفعال الإنجازية (كالأمر والنهي والتضرع) لضبط السلوكيات وترسيخ العبودية الخالصة لله، كما كشفت الدراسة عن التلاحم العضوي بين الخطاب الوعظي وسياق الحال البدوي القاسي، ونجاح الصورة البيانية المستمدة من المعجم المحلي في تجسيد الغيبيات والمفاهيم العقدية المجردة، وتخلص الدراسة إلى أن الشعر الشعبي البرقاوي يمثل مؤسسة وعظية متحركة حولت مفاهيم التوحيد الكبرى إلى واقع مَعيش يحفظ الهوية ويوجه السلوك.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي البرقاوي، الخطاب التداولي، التوحيد، نظرية أفعال الكلام، التناص الديني، صالح بوعياد الشهيبي.

Abstract

This study aims to explore the manifestations of Tawhid (Islamic monotheism) in Barqawi popular poetry, specifically focusing on the poems of Saleh Bouayed Al-Shehibi, examining them as a "pragmatic medium" and a social act that directs behavior rather than mere aesthetic texts. The research adopts a pragmatic approach, relying on John Austin's "Speech Act Theory," the concept of "context of situation," and the analysis of religious intertextuality and rhetorical imagery. The findings reveal that the poet utilized intertextuality with the Quran and Sunnah to borrow legislative authority, and employed performative speech acts (such as directives and expressives) to regulate behavior and consolidate pure devotion to God. The study also highlights the organic cohesion between the preaching discourse and the harsh Bedouin context, and the success of rhetorical imagery derived from the local lexicon in embodying abstract unseen concepts. The study concludes that Barqawi popular poetry represents a dynamic preaching institution that transformed the grand concepts of Tawhid into a lived reality, preserving identity and guiding behavior.

Keywords : Barqawi Popular Poetry, Pragmatic Discourse, Tawhid (Monotheism), Speech Act Theory, Religious Intertextuality, Saleh Bouayed Al-Shehibi.

المقدمة

يُعدّ الشعر الشعبي البرقاوي ديوانًا لثقافة المجتمع في البادية الليبية، ووعاءً حافظًا لقيمه الدينية والأخلاقية؛ فهو في هذه البيئة ليس مجرد ترفٍ فنيّ أو رصفٍ جماليّ للقوافي، بل هو مؤسسةٌ اجتماعيّةٌ وتربوية فاعلةٌ تنوب عن المكتوب في حفظ الذاكرة، وعن الخطبة المنبريّة في توجيه السلوك وتأصيل القيم، ولعلّ مِن أبرز الأغراض التي تجلّت فيها عبقرية الشاعر الشعبي البرقاوي هو الشعر الوعظي، حيث انبرى الشاعر البرقاوي لتبسيط أعقد القضايا العقائدية وتحويلها إلى وجباتٍ روحيّةٍ وسلوكيّةٍ سائغةٍ للمُتلقي؛ فالتوحيد أسّ العقيدة التي من أجلها بعث الله الرسل وخلق الخلق؛ فالشعر عامّة والبرقاوي خاصّة لم تنحصر أغراضه في الغزل والفخر بل كان ديوانًا تاريخيًّا حمل في طيّاته سجلّات الجهاد ونقل معاناة إقليمٍ ذاق الأمرّين على يد الاستعمار في معتقلاتٍ شهيرةٍ على مرّ التاريخ؛ فكان الشعر حافزًا دينيّا للجهاد ضد المستعمر، وللدعوة إلى ما دعا إليه دين الإسلام من مكارم الأخلاق وحسن الجوار وصولا إلى دعوة الرسل ألا وهي التوحيد.

مشكلة البحث:

تطرح هذه الدراسة مشكلةً رئيسةً تتمثّل في كيفيّة تحوّل القصيدة الشعبية من (بنيةٍ لغويّةٍ مغلقةٍ) إلى (فِعلٍ اجتماعيّ وتداوليّ مفتوحٍ) يبثّ قيم العقيدة وينظم السلوك، كما تتساءل الدراسة عن: كيف نجح الشاعر الشعبيّ في اتخاذ القصيدة كـ "وسيطٍ تداوليّ" لتمرير مفاهيم التوحيد (الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات، واليوم الآخر)؟. وما الآليات البراغماتية والجمالية التي استثمرها النصّ لاختراق وجدان المتلقي البدوي وضمان استجابته؟.

أهداف الدراسة:

1. تهدف الدراسة إلى الكشف عن أبعاد الفكر العقدي، وتجليات التوحيد في الشعر الشعبي البرقاوي من خلال نص الشاعر بوعياد الشهيبي.
2. كما تتبع الأفعال الإنجازية والتأثيرية في الخطاب الشعري الوعظي، وبيان قدرتها على توجيه السلوك.
3. ترصد التلاحم بين النص المقدس وسياق الحال البدوي، وتوضيح دور الصورة البيانية كوسيطٍ لتقريب الغيبيّات والمجردات.

المنهج المتبع:

تتبع هذه الدراسة المنهج التداولي (البراجماتي) الذي يُعنى بدراسة اللغة في الممارسة والتواصل، متكئةً على حزمةٍ من النظريات اللسانية والنقديّة الحديثة التي تتقاطع مع الأصول البلاغية العربية، وتتأسس هذه المقاربة على نظرية أفعال الكلام **(Speech Act Theory)**؛ إذ يرى الفيلسوف جون أوستين: إنّ التلفظ بالقول هو إنجاز لفعل، وليس مجرد تقرير أو وصف لواقعة ما بالشكل الذي يمكن أن يقال عنه إنه صادق أو كاذب. (ينظر: أوستين، 1991، ص 17).

بناءً عليه، فإنّ الخطاب العقدي يغادر وظيفته الإخبارية المجردة ليتحوّل إلى "فعلٍ إنجازي" يهدف إلى تغيير واقع المتلقي، ولا ينفصل هذا الفعل عن بُعده التفاعلي الجماعي الذي تؤصّله نظرية الفعل التواصلي عند يورغن هابرماس؛ إذ يرى أنّ ذوات المتكلمين تتفاعل لغويًّا لإنشاء فضاءٍ مشتركٍ من الفهم المتبادل والاعتراف بالمعايير داخل العالم المعيش "إنّ افتراض عالم متقاسم على نحو مشترك... وبألفاظ عامة جدًّا، ... والذين هم محفزون بحيث يتكلمون بشكل حقيقي". (ينظر: هابرماس، 2020، ص 97–98)، كما تستدعي الدراسة مفهوم "سياق الحال" (Context of Situation) الغربي ونظيره التراثي العربي (مقتضى الحال)، فضلًا عن آلية "التناصّ الديني" بوصفها رافدًا حجاجيًّا.

مدونة الدراسة : النصوص الشعرية الثلاثة للشاعر صالح بوعياد الشهيبي

تعتمد هذه الدراسة على ثلاثة نصوص شعرية للشاعر صالح بوعياد الشهيبي تمثل تكاملاً فريداً في الخطاب التداولي العقدي؛ فالنص الأول يمثل المتن الوعظي والتشريعي الجامع، والنص الثاني يمثل خطاب المناجاة والتضرع وتوحيد الالتجاء في المرض والكرب، بينما يمثل النص الثالث خطاب الذكر والتسبيح والتوبة النصوح.

النص الأول: قصيدة العقيدة والوعظ الجامع (ديوان الشهيبي،ج1،ص62)

الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل والقضاء	***	وأوفى ابعهدك ربنا يوفيك
وأسمعنا وطعنا عهد تكييل بالوفاء	***	والله رب واحد ما معاه شريك
الأمر والعمر في يديه والكرب والرخاء	***	ورزقك عليه وله فروض عليك

الصلاة والزكاة والصوم والحج وانتهى	***	علي شيء عنا ربنا ناهيك
وأيام الحفا والجوع وأيام العراء	***	اصبر وهو خير الجزاء يجزيك
وسبح بطول الليل وأحمد وأشكره	***	حتى لو بطأ خير الكريم يجيك
رقيب وسميع مجيب دعوة الداعي لا دعاه	***	الله اطلبه واطلب رضا ولديك
كريم و غفور رحيم يغفر ما مضى	***	اتريد الهدى إستعن به يهديك
الباقي الدايم الحي علام مدفونة الثراء	***	توبله أرضيه استغفره يرضيك
أحياك وأنت ميت كنت وايميتك آخرة	***	وبعد ميتك لخرى أساع يحييك
واساع يبعثك عريان ما فوقك اغطاء	***	ولا ستر فيت برحمته يكسيك
واساع يسألك ع المال والعمر والضنا	***	وعلى فروض ضاعن من طمع لاهيك
وأيش ريت وأيش اسمعت وأيش عطيت الله من عطاه	***	ولا أنسيت اتعطى من عاطيك
واصحى تلتهي في شيء ماشي للفناء	***	لا عاد اتجي بهذيك لا هاذيك
تنسى الذكر اليوم بكرة تنتسى	***	مطرود أنت واللي كان متوليك
من رحمته لا اطول في ظل لا ضراء	***	ولا ينظرك ربك ولا ايزكيك
وهو رب الإنسان والجان وهو رب الأرض ورب السماء	***	وهو اللي غني عنك وهو غانيك
وله ما خذا وعطا والله البقاء	***	ولك ما عطنه من عطاه ايديك

النص الثاني: قصيدة المناجاة والتضرع في المرض والكرب ديوان الشهيبي، ج 2، ص (87)

يالله يا عالم الغيب	**	يا مالك الكون كله
	*	
ياللي بقدرتك ينضج إيطيب	**	اثمار الشجر وإيتحلى
	*	
يا الحي يالمجيب	**	طلبتك اموري إتولى
	*	
عانيت مالمرض من التعاذيب	**	باب الفرج عجل إبحله
	*	

وانت الله وانت الطبيب	** *	إشفي قلب سبح وصلى
واجعل لي فرج يا الله قريب	** *	واجعل ضبابة الهم تجلى
واجعلها اتجى كيف الحليب	** *	اجابه عليها إسم الله
من عفوك اجعل لي تسابيب	** *	جناحا إنجى تحت ظله
يا امفرج كروب المكاريب	** *	عبدك وشاكي إبعله
وضاقن على المهاليب	** *	والمشكى الغيرك مذله

النص الثالث: قصيدة التوحيد والتسبيح والإنابة ديوان الشهيبي، ج 2، ص (88)

لا اله الا الله	***	رب الكون علام الغيوب
وسبح قبل ما الشمس اتعلى	***	وسبح قبل وقرات الغروب
ودرب الملاهي والمعاصى خلا	***	ورد قبل تلبس مالمعاصي ثوب
الماشي اللي من نص الدرب ولا	***	فالمثل قالوا ما مشاء محسوب
وبذكر الله راه الريق ايتحلا	***	واينحلن كل عقدات الكروب
وبذكر الله تبراء كل عله	***	ولستغفار يمحى فالذنوب
ويزول الكرب ويزول الهم كله	***	وبذكر الله تطمان القلوب

المبحث الأول: التناص الديني وسلطة النص المرجعي في القصيدة الشعبية

يعتمد الشاعر الشعبي البرقاوي في مقاربته الوعظيّة على استدعاء النّصوص المقدّسة (القرآن والسنة) لإضفاء المصداقية والسلطة الدينية على خطابه الموجّه للمتلقّي، إنّ قراءة هذا الاستدعاء المرجعي تتطلب الانطلاق من مفهوم "التناص" كمفهومٍ إجرائيّ، حيث ترى جوليا كريستيفا أنّ: كل نص يبنى كفسيفساء من استشهادات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى؛ فالخطاب لا يتحرك في فراغ بل في فضاء متداخل النصوص. (ينظر: كريستيفا، 1997، ص 78–79).

فالشعر مما يؤثر في النفوس ويستقرّ في النفس المتلقي "ومما يزين الخطبة، ويزيد من التأثر بها لدى السامع استشهاد الخطيب بالشعر، إن الشعر في موضعه يشد السامع ويلهب عاطفته، ويحرك نفسه، وفي الحديث الصحيح عن أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – قَالَ: «إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكْمَةً» (رواه البخاري)، ومن أول أغراض الشعر أن يكون في المواعظ، والأمثال، والآداب، والأخلاق، والحث على الجهاد أو الإنفاق، أو خلالِ الخير المتنوعة، وكذلك ما يرقق القلوب من شعر الزهد، والقناعة، والتذكير بالآخرة والجزاء" {شحاته: ج22/1}.

"تواترت القصائد التي تحمل في مضامينها الجانب الوعظي عبر الأزمنة والتاريخ، فكانت القصيدة المنبر الذي يبعث من خلاله الشاعر الرسائل الوعظية للمجتمع المحيط به، وقد استخدم الكثير من الشعراء أساليب عدة لإيصال المواعظ كالأسلوب الفكاهي والقصصي، قد حظيت دواوين الشعر الشعبي بالكثير من قصائد الوعظ...". {الزبني: 2017}.

قام الشهيبي في قصائده الثلاث بامتصاص النصّ المقدّس وتحويله إلى لهجته البرقاويّة المألوفة؛ ليمدّ نصوصه بسلطةٍ تشريعيّةٍ قاهرةٍ، وقد وظّف ذلك في تفكيك منظومة العقيدة والعبادة عبر المرجعيّات الشاملة الآتية:

كلمة التوحيد وتوحيد الألوهية ونفي الشريك

يتجلى التوحيد في مطلع القصيدة الثالثة "لا اله الا الله ... رب الكون علام الغيوب" ، وفي القصيدة الأولى "والله رب واحد ما معاه شريك" يستدعي الشاعر مباشرة كلمة الإخلاص وسورة الإخلاص (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص: 1]، وقوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ..) {محمد: 19}**، ومع التلبية النبوية (لَبَّيكَ اللهُمَّ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ لا شَريكَ لكَ لَبَّيكَ...) {صحيح البخاري: 1550}. وكلمة التوحيد الخالص من حديث النبي صلى الله عليه وسلّم: (من قالَ في يومٍ مائةَ مرَّةٍ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وَهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ...) {صحيح ابن ماجه،3079}.

أركان الإيمان الستة

في قوله "الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل والقضاء"، يتكئ الشاعر حرفيًّا على حديث جبريل المشهور في تعريف الإيمان (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) [متفق عليه].

أركان الإسلام الخمسة

يقول الشاعر "ورزقك عليه وله فروض عليك / الصلاة والزكاة والصوم والحج وانتهى"، يستدعي حرفيًا الحديث النبوي الشريف: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان) [متفق عليه].

توحيد الربوبية والملك والقدرة في الكون

يقول بوعيّاد في القصيدة الثانية (يالله يا عالم الغيب ... ياملك الكون كله / ياللي بقدرتك ينضج إيطيب اثمار الشجر وايتحلى)، وفي القصيدة الأولى: (وهو رب الإنسان والجان وهو رب الأرض ورب السماء)، يتناص الشاعر مع قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) [الحشر: 22] ، وقوله : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) [آل عمران: 26]، وقوله في إنضاج الثمار آية على الربوبية: (انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: 99].

توحيد الأسماء والصفات وإجابة الدعاء والشفاء

في القصيدة الأولى يقول الشاعر (رقيب وسميع مجيب دعوة الداعي لا دعاه) وفي القصيدة الثانية (يا الحي بالمجيب طلبتك أموري اتولى ... وأنت الله وأنت الطبيب اشفي قلب سبح وصلى)، يمزج الشاعر بين أسماء الله الحسنى (الحي، الرقيب السميع المجيب الطبيب متناصًا مع قوله تعالى: (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) [البقرة: 186]، وقوله على لسان إبراهيم عليه السلام: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) [الشعراء: 80]، والحديث النبوي الشريف: كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُعَوِّذُ بَعضَهم، يَمسَحُه بيَمينِه: أذهِبِ الباسَ رَبَّ النَّاسِ، واشفِ أنتَ الشَّافي، لا شِفاءَ إلَّا شِفاؤُكَ...)،[صحيح البخاري، 5750].

الأمر بالتسبيح في مواقيت الشروق والغروب وقيام الليل

في القصيدة الثالثة قوله (وسبح قبل ما الشمس اتعلى ... وسبح قبل وقرات الغروب)، يستدعي الشاعر صياغةً قرآنيّةً صريحةً لا تحيد عن قوله تعالى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) [طه: 130]، كما يتناص قوله في القصيدة الأولى: (وسبح بطول الليل وأحمد وأشكره) مع قوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) [ق: 40]، ومع الحديث النبوي (...إذ قال

رَجُلٌ مِنَ القَومِ: اللهُ أكبَرُ كَبيرًا، والحَمدُ للَّهِ كَثيرًا، وسُبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلًا، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: مِنَ القائِلُ كَلِمةَ كَذا وكَذا؟ قال رَجُلٌ مَنِ القَومِ: أنا يا رَسولَ اللهِ، قال: عَجِبتُ لَها، فُتِحَت لَها أبوابُ السَّماءِ! قال ابنُ عُمَرَ: فما تَرَكتُهُنَّ مُنذُ سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ ذلك)، {صحيح مسلم 601}.

طمأنينة القلوب بذكر الله ومحو الذنوب بالاستغفار

في القصيدة الثالثة (وبذكر الله تبراء كل عله ... ولستغفار يمحى فالذنوب / ويزول الكرب ويزول الهم كله ... وبذكر الله تطمان القلوب)، نجد اقتباسًا نصيًّا مباشرًا للآية الكريمة: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: 28]، ولقوله تعالى: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) [هود: 90]، وحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (قَالَ اللَّهُ تبارك وتعالى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) {رواه الترمذي (3540)، وابن ماجه (3821)}.

إفراد الله بالشكوى وذل الشكوى لغيره

في ختام القصيدة الثانية (يا امفرج كروب المكاريب عبدك وشاكي إبعله / وضاقن على المهاليب ... والمشكى الغيرك مذله)، يستند الشاعر إلى قول يعقوب عليه السلام: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) [يوسف: 86]، وإلى الحديث النبوي: (من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو أجل) [رواه الترمذي].

العهد والسمع والطاعة واقتران التوحيد ببر الوالدين

في قوله: (وأوفى ابعهدك ربنا يوفيك / وأسمعنا وطعنا عهد تكييل بالوفاء)، يستدعي قوله تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) [البقرة: 40] و (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) [البقرة: 285]، وفي قول الشاعر: (الله اطلبه واطلب رضا ولديك)، يطبّق الاقتران القرآني في قوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: 23] ، وفي قول الشاعر أيضا: (اتريد الهدى استعن به

يهديك) يترجم آية الفاتحة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: 5-6]، وقوله صلى الله عليه وسلّم (احرِص على ما ينفعُكَ واستعِنْ باللَّهِ ولا تعجزنَّ..) {مسلم 2664}.

دورة الحياة والموت والبعث والحشر والحساب

يقول الشاعر: (أحياك وأنت ميت كنت وايميتك آخرة / وبعد ميتك لخرى أساع يحييك)، ترجمة حرفيّة وجليّةً لقوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) [البقرة: 28]، وفي قول الشاعر: (واساع يبعثك عريان ما فوقك اغطاء) تناصّ مع حديث: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً) [متفق عليه]، وفي قول الشاعر: (واساع يسألك ع المال والعمر والضنا.... وأيش ريت وأيش اسمعت) استدعاء لحديث (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره ... وعن ماله ...) [رواه الترمذي]، ولقوله تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء: 36].

الجزاء من جنس العمل والغنى الإلهي المطلق

يتجلى في قول الشهيبي: (تنسى الذكر اليوم بكرة تنتسى... ولا ينظرك ربك ولا ايزكيك)، اقتباس صريح من قوله تعالى: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) [التوبة: 67] ، وقوله : (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ) [آل عمران: 77]، وفي ختام القصيدة الأولى يقول: (وهو اللي غني عنك وهو غانيك / وله ما خذا وعطا والله البقاء) اتكاء على قوله تعالى: (وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ) [محمد: 38]، والتعزية النبوية: (إن الله ما أخذ وله ما أعطى [متفق عليه وآية البقاء : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن: 27].

التحليل التداولي لتوظيف التناص الديني:

لا يقف استدعاء النص المقدس في قصائد الشهيبي الثلاث عند حدود التزيين البلاغي أو التناصّ الجماليّ المحض، بل يُوظف أداةً براغماتيّة حادّة لإنجاز أفعالٍ كلاميّةٍ مقصودةٍ مثل: الترهيب، والزجر، والتوجيه والتضرع؛ ولأنّ الشاعر الشعبي يفتقر بطبيعته إلى سلطة الإجبار المتمثّلة في الحاكم أو ولي الأمر، فإنّه يعمد عبر هذا التناص إلى استعارة السلطة الرمزيّة والتشريعيّة من النصّ القرآنيّ والنبويّ؛ مما يضفي على توجيهاته وأوامره طابع الإلزام الديني المطلق في وعي المتلقي.

ممّا سبق نستخلص أنّ المبحث الأول أثبت تطبيقيّا أنّ الشاعر الشهيبي استمدّ قوته التأثيرية من الاتكاء الشامل على القرآن والسنة؛ ممّا أخرجه من دائرة الفنّ للفنّ ليجعله مُبلّغًا ومرشدًا، ومن المنظور العقدي فإنّ الإقرار بهذه المرجعيّات من توحيد الربوبية والألوهية، ومواقيت التسبيح، واليقين بأنّ الشفاء وتفريج الكروب بيد الله وحده يمثل الأساس الاعتقادي لكمال التوحيد، فاستدعاء النصّ المقدس لا يقف عند حدود التزيين البلاغي، بل يُوظف كأداةٍ براغماتيّةٍ حادةٍ لاستعارة السلطة التشريعية من النصّ القرآني والنبوي، هذه السلطة لا تهدف إلا لغايةٍ واحدةٍ هي تأكيد أنّ الإيمان بهذه النصوص وتصديقها هو من كمال التوحيد؛ فالشاعر لا يفصل بين توحيد الله والإيمان باليوم الآخر أو طاعة أوامره؛ بل يرى أنّ التصديق بانكشاف السرائر (الذي يُزلزل وجدان البدوي محبّ الستر بطبعه)، والإقرار بالبعث والحساب، والامتثال للسمع والطاعة، هي التطبيق الفعلي والمُتمم لعقيدة التوحيد الخالص.

المبحث الثاني: الأفعال الإنجازية وتوجيه السلوك (مقاربة أفعال الكلام)

انطلاقاً من مبدأ جون أوستين بأن اللغة ليست مجرد أداة لوصف الواقع بل لصنعه والتأثير فيه، يمكننا تفكيك قصائد الشهيبي الثلاث لاستخراج الأفعال الإنجازية (Illocutionary Acts) التي تعكس القصد التداولي للشاعر، وقد كشفت القصائد الثلاث المدروسة عن ثراء براغماتي لافت؛ إذ يتحرك الشاعر بين مسارين متكاملين من أفعال الكلام

1. أفعال التوجيه والإرشاد ((Directive Acts

عند الاطّلاع والتمحيص النصّي للقصيدتين الأولى والثالثة نُلاحظ هيمنةً صارخةً لأفعال الأمر والنهي والتحذير التي تضع الشاعر في مقام (الواعظ المرشد)، وتضع المتلقي في مقام (المريد المستمع)؛ هذه الصيغ هي ما يصنفها جورج يول ضمن أفعال التوجيه (Directives)، ويعرفها بأنّها: الأفعال الكلامية التي يستخدمها المتكلم ليدفع المستمع إلى القيام بفعل ما، وهي تعبر عما يريده المتكلم، وتتمثل

في الأوامر، والطلبات والاقتراحات، وتكون إما موجبة أو سالبة (ينظر: يول 2010، ص 91)، وتتجلى هذه الأفعال عند الشهيبي في المستويات الآتية:

الأمر بالوفاء والصبر والشكر والتسبيح الموقوت: في القصيدة الأولى يقول: (وأوفى ابعهدك ... اصبر وهو خير الجزاء يجزيك / وسبح بطول الليل وأحمد وأشكره)، ويقول في القصيدة الثالثة (وسبّح قبل ما الشمس اتعلى ... وسبح قبل وقرات الغروب الشهيبي).

الأمر بالمبادرة إلى التوبة والإقلاع عن طريق المعاصي: تبرز كثافة الأفعال الإنجازية المتلاحقة في القصيدة الأولى: (توبله أرضيه استغفره يرضيك)، وتتعزز في القصيدة الثالثة بأمريْن حاسميْن (ودرب الملاهي والمعاصي خلا ... ورد قبل تلبس مالمعاصي ثوب)، حيث يأمر بترك درب الملاهي والرجوع والتوبة قبل أن تحيط الخطايا بالعبد.

أفعال النهي والتحذير لزجر المتلقي عن الغفلة: تظهر بقوة في القصيدة الأولى: (واصحى تلتهي في شيء ماشي للفناء / لا عاد اتجي بهذيك لا هاذيك)، حيث يوظّف الشاعر فعل التنبيه والنهي (اصحى تلتهي / لا عاد اتجي) لردع المتلقي عن الاغترار بالدنيا الفانية.

2. أفعال البوح والتضرع والالتزام (Expressive & Commissive Acts)

على النقيض من النبرة الآمرة في القصيدتين الأولى والثالثة، ينتقل الشهيبي في قصيدته الثانية من مقام "الواعظ الآمر للناس" إلى مقام "العبد المفتقر المتضرع بين يدي مولاه" موظّفًا أفعال البوح (Expressives) وأفعال الطلب الدعائي والتوسل:

أفعال النداء التعظيمي وإعلان الربوبية: يستهل الشاعر نصه بسلسلة نداءاتٍ تعبديّةٍ: (يا الله يا عالم الغيب ... يا مالك الكون كله / يا الحي يالمجيب... يا امفرج كروب المكاريب)، وهي أفعالٌ كلاميّةٌ تُنجِز معنى الإقرار بالعظمة والافتقار التامّ.

أفعال البوح بالمعاناة والشكوى إلى الله وحده: يُفصح الشاعر عن ألمه الجسدي والنفسي في قوله: (عانيت مالمرض من التعاذيب... عبدك وشاكي إبعله / وضاقن على المهاليب)، ثم يعلن ميثاقًا عقديًّا والتزامًا إيمانيًّا صارمًا في ختام القصيدة: (والمشكى الغيرك مذله).

أفعال الدعاء والالتجاء التفويض وطلب الشفاء والفرج: تتوالى أفعال الدعاء والرجاء حين يقول: (طلبتك أموري اتولى... باب الفرج عجل ابحله.... اشفي قلب سبح وصلى / واجعل لي فرج يا الله قريب / واجعل ضبابة الهم تجلى... من عفوك اجعل لي تسابيب)، وهنا يتوسل الشاعر إلى الله بإيمانه وعمله الصالح (اشفي قلب سبح وصلى) في تطبيق عملي للتوسل المشروع كما ورد في حديث أصحاب الغار الذي رواه البخاري في باب الدُّعاءُ والتَّقرُّبُ إلى اللهِ تعالَى بصالِحِ الأعمالِ والإخلاصِ سَبَبٌ لتَفْريجِ كُلِّ كَرْبٍ.

أثبت التحليل أنّ قصائد الشهيبي تمتلك مرونةً تداوليّةً فائقةً تجمع بين حزم الأمر والنهي في مقام الوعظ وانكسار البوح والدعاء في مقام المناجاة، ومن المنظور العقدي فإنّ هذه الأفعال الإنجازية الشاملة تمثّل الوجه العملي لكمال التوحيد؛ فلا يكتمل توحيد العبد إلا باجتماع جناحي الطاعة للأمر الإلهي في التسبيح والتوبة والصبر والافتقار الخالص الله في الشدائد بحيث يرى العبد أن المشكى لغير الله مذلة،

بيد أن هذه الأفعال الإنجازية لا تؤتي ثمارها في فراغٍ مجرّدٍ؛ إذ تحتاج إلى حاضنة بيئيّةٍ واجتماعيّةٍ تجعل المتلقي يتفاعل معها.

المبحث الثالث: سياق الحال (Context of Situation) والمقام التداولي في توجيه التلقي

لا تكتسب الأفعال الإنجازية قوتها الضاغطة إلا بارتباطها بسياق الحال، وهو المفهوم التداولي الحديث الذي يلتقي في جذوره العميقة مع نظرية "المقام" في التراث البلاغي العربي؛ إذ يؤكد الدكتور مسعود صحراوي أنّ نظرية المقام أو مراعاة مقتضى الحال التي صاغها البلاغيون العرب تمثل الجذور الأصيلة للدرس التداولي المعاصر، حيث يُربط المعنى بسياق التخاطب وأحوال المتكلمين والمخاطبين (ينظر: صحراوي، 2005، ص 42)، وقد أصّل إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني هذا التلاحم بين النص وسياقه بقوله: (إذ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتنظر في أحوال المخاطبين ومقتضيات المقام. (الجرجاني، د.ت، ص 81)، فـلا تكتسب الأفعال الإنجازية قوتها الضاغطة إلا بارتباطها بسياق الحال، وهو المفهوم الذي يلتقي في جذوره مع نظرية "مراعاة مقتضى الحال" في التراث البلاغي العربي عند الجاحظ في قوله (...بل رب كناية تربي على افصاح، ولحظ يدل على ضمير، وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية، قائما على النهاية. ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقا...) {الجاحظ: ج2/ ص7}، والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني الذي يؤكد ضرورة النظر "في أحوال المخاطبين"، وباستقراء قصائد صالح بوعياد الشهيبي الثلاث يتبيّن أنّه استثمر ثلاثة أبعادٍ حيويّةٍ من سياق الحال في البيئة البرقاوية لضمان تحقيق الفعل التأثيري (Perlocutionary Effect):

1. سياق المكابدة البيئية والعيش الشظف: في القصيدة الأولى يُدرك الشهيبي أنّ مخاطبه البدوي يعيش في بيئةٍ صحراويّةٍ قاسيةٍ تتقلّب بين الجدب والخصب؛ فيخاطبه من صميم معاناته اليومية: (وأيام الحفا والجوع وأيام العراء / اصبر وهو خير الجزاء يجزيك)، إنّ استحضار الثلاثية القاسية الحفاء، الجوع، العراء يخلق أرضيّةً تخاطبيّةً صادقةً.

2. سياق المحنة الجسدية ومرارة المرض: تنبثق قصيدة المناجاة من سياقٍ واقعيّ حرجٍ يمرّ به الإنسان حين يشتد عليه المرض وتضيق به المسالك (عانيت مالمرض من التعاذيب... وضاقن على المهاليب).

3. سياق السفر الصحراوي وسلطة المثل الشعبي: في سبيل إقناع المتلقي بضرورة المبادرة إلى التوبة وعدم التمادي في طريق الغواية، يستثمر الشهيبي في القصيدة الثالثة خبرة البدوي بمخاطر قطع المفازات والصحاري، ويدعمها بسلطة المثل السائر في الثقافة الشعبية قائلاً: (الماشى اللى من نص الدرب ولا ... فالمثل قالوا ما مشاء محسوب).

نستخلص بأنّ القصيدة نجحت في أداء دورها التداولي؛ لأنّها استثمرت واقع المتلقي بدقةٍ عاليةٍ، وبنظرةٍ عقديةٍ فاحصةٍ نجد أن التوحيد لا يُختبر في فراغٍ تجريدي، بل ساحة اختباره الحقيقية هي "سياق الحال" المليء بالابتلاءات؛ فالصبر على "أيام الحفا والجوع"، وعدم التسخّط أو الالتجاء لغير الله لسد الحاجة، هو أرقى درجات كمال التوحيد وتفريده بالعبودية.

المبحث الرابع: التجسيد البياني كأداة تداولية لتقريب الغيب المحسوس في خدمة المجرد

تميل الذهنيّة العربيّة البدويّة بطبعها إلى إدراك المحسوس والتفاعل مع ما تبصره في محيطها الطبيعي؛ ولذلك عمد الشاعر صالح بوعياد الشهيبي في قصائده الثلاث إلى تحويل الصورة البيانية

(التشبيه الاستعارة، الكناية) من مجرد حلية بلاغيّةٍ إلى أداةٍ تداوليّةٍ (Pragmatic Tool) تنقل المعنى العقدي الغيبي من دائرة التجريد الذهني إلى دائرة المشاهدة الحسيّة الملموسة:

1. الكناية وتجسيد الانكشاف والإحاطة الإلهية:

كناية العُريّ (سلب الأسباب): في قوله "واساع يبعثك عريان ما فوقك اغطاء / ولا ستر فيت برحمته يكسيك"، يعد "العري" هنا كناية بليغة عن التجرد التام من الحول والقوة والمناصب الدنيوية. وفي ثقافة بدوية تعتبر "الستر" رأس مال الإنسان الاجتماعي، ينجز هذا التجرد الكنائي فعلاً تداولياً يزلزل طمأنينة المتلقي، ويذكره بافتقاره المطلق لله.

كناية الثرى (كمال العلم): في قوله: "الباقي الدايم الحي علام مدفونة الثراء"، كنى عن الخفايا والسرائر بـ "مدفونة الثراء" (التراب). والتراب هو أشد العناصر التصاقاً بحياة البدوي ومآله، وهذه الكناية ترسخ عقيدة إحاطة علم الله المطلق بالأشياء بطريقة ملموسة ومرعبة في آن واحد.

2. الاستعارة المكنية والتصريحية وتجسيد الانفعالات:

استعارة ثوب المعاصي: في قوله "ورد قبل تلبس مالمعاصي ثوب"، استعارة تصريحية/تشبيه بليغ، حيث جسّد المعنوي (المعاصي) في صورة حسية (ثوب دنس) يكسو الروح. هذا التجسيد يجعل التوبة أشبه بعملية "خلع" مادية لثوب متسخ، مما يحفز المتلقي على سرعة التخلص منه.

استعارة انقشاع الضباب (الفرج): في قوله "واجعل ضبابة الهم تجلى"، استعارة مكنية شبّه فيها الهموم المتراكمة التي تحجب رؤية الحلول بـ "الضبابة"، جاعلاً من تفريج الكرب الإلهي عملية حسية تشبه انقشاع الضباب وشروق الشمس في سماء البادية.

استعارة حلاوة الذكر وحل العقد: في قوله "وبذكر الله راه الريق ايتحلا ... واينحلن كل عقدات الكروب".

نقل الشاعر الطمأنينة القلبية إلى مستوى التذوق الحسي (حلاوة الريق)، واستعار للكروب المعنوية صورة حبل معقود (عقدات) يتكفل الذكر بفكها عقدة عقدة.

3. التشبيه التمثيلي وتقريب العطاء الإلهي:

تشبيه الإجابة بالحليب: يبلغ الشاعر ذروة التجسيد البدوي حين يتضرع طالبًا الفرج الخالص الصافي بقوله: "واجعلها اتجي كيف الحليب".

في البادية، يمثل الحليب الطازج رمزاً للوفرة، والطهارة، والنقاء، والنجاة من العطش. تشبيه إجابة الدعاء بالحليب هو رسالة تداولية تزرع اليقين في قلب المتلقي بأن عطاء الله سيكون صافياً لا تشوبه شائبة أذى.

أثبت التحليل أنّ الأوجه البلاغية (التشبيه، الاستعارة، الكناية) في قصائد الشهيبي تمثل وسيطًا تداوليًا بامتياز؛ إذ استثمر الشاعر المعجم البيئي لبناء جسور بصرية ونفسية تنقل المتلقي للتسليم بالغيب،

هذا التجسيد لرقابة الله وأهوال الحساب وصفاء الفرج الإلهي، يصبّ في صميم توحيد الأسماء والصفات (توحيد المعرفة والإثبات)، فالصورة البيانية هنا تُعظّم الخالق في قلب السامع، وتشعره بالافتقار المطلق لجلاله، وهذا الانكسار والإجلال هو لب التوحيد وكماله.

خاتمة الدراسة

سعت هذه الدراسة إلى تفكيك "تجليات التوحيد في الشعر الشعبي البرقاوي" متخذةً من قصيدة (صالح بوعياد الشهيبي) أنموذجاً للتطبيق، ولم تكتفِ بالنظر إلى هذا النص كوعاءٍ جمالي، بل قاربته بوصفه "وسيطًا تداوليًا" يهدف إلى توجيه السلوك وترسيخ العقيدة، وخلصت الدراسة إلى أنّ كل ما تضمنته القصيدة من آلياتٍ فنيّةٍ وتداوليّةٍ كان مسخّرًا لخدمة "كمال التوحيد":

- فاعلية التناص الديني: كان استدعاء القرآن والحديث أداة براغماتية لاستعارة السلطة التشريعية لتأكيد أن تصديق الوعد والوعيد والإيمان بالغيبيات هو من أصول التوحيد وكماله.
- كثافة الأفعال الإنجازية: وظف الشاعر أفعال الأمر والنهي لضبط السلوك، مبيناً أن التوحيد ممارسة عملية تتمثل في الصبر والشكر والانقياد التام.
- سياق الحال والمسرح التداولي: استمدت التوجيهات فاعليتها من التحامها بسياق الحال البدوي؛ مؤكدة أن الصبر على قسوة الحياة واللجوء لله وحده في الكروب هو التطبيق الفعلي لتوحيد الألوهية والربوبية.
- الصورة البيانية كأداة لتجسيد الغيب: نجح الشاعر في استثمار المعجم البيئي المحلي لترجمة الغيبيات إلى مشاهد بصرية تزلزل الوجدان، مما يورث القلب تعظيماً لله وتسليماً بقدرته المطلقة، وهو الغاية العظمى من توحيد المعرفة والإثبات.

خلاصة القول: يؤكّد الباحثان في هذه الدراسة على أنّ الشعر الشعبي البرقاوي في غرض الدينيات هو "مؤسسة وعظية وتداولية متحركة"، استطاع أن يحول مفاهيم التوحيد الكبرى إلى واقعٍ مَعيشٍ ومقتضيات عملية تُهذّب السلوك وتصون هوية الإنسان البسيط وتربطه بخالقه في أحلك الظروف.

توصيات الدراسة

أولًا: ضرورة عدم إغفال التراث الشعري الشعبي – البرقاوي خاصّةً– في الدراسات اللغوية والتداولية المنهجية؛ فهو يُشكّل مدونةً عقديةً ومرجعية غنيّةً قادرة على إثراء الدرس اللساني والأدبي.

ثانيًا: توجيه أبحاث الماجستير والدكتوراة نحو تبني مناهج النقد الحديثة لسبر أغوار هذا الشعر، وبيان دوره الفاعل في حفظ الهوية وصياغة الوعي الديني وتوجيه السلوك المجتمعي.

ثالثًا: العمل على جمع وتدوين وتحقيق قصائد "الدينيات والوعظ" وإتاحتها كمرجعية خصبة للدراسات البينية التي تدمج بين علوم العقيدة، والأنثروبولوجيا، واللسانيات المعاصرة.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**.

-**الأحاديث النبوية**. نقلا عن الموقع الإلكتروني الدرر السنيّة: https://dorar.net/

1. الشهيبي، صالح بوعيّاد: ديوان الشاعر الشعبي المبدع (صالح بوعياد)، ج1،ج2، إعداد وتجميع إبراهيم العمروني.
2. أوستين، جون لانجشو: نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991.
3. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
4. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
5. الزبني، بشير: وتد.. قصائد الوعظ، مقالة، ربيع الأول / 1439 هـ، 2017، موقع البلاد https://archive.albiladdaily.com
6. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.
7. شحاتة، محمد صقر: دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، جـ1 ، دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث – البحيرة.

8. صحراوي، مسعود (دكتور): التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

9. طه، عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

10. كريستيفا، جوليا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997.

11. هابرماس، يورغن: نظرية الفعل التواصلي (المجلد الأول: عقلانية الفعل والعقلنة الاجتماعية)، ترجمة: فتحي المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2020.

12. يول، جورج: التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.